النماذج الاقتصادية والعالم الحقيقي

ترجمة د. سامر مظهر قنطقجي[1]

كل ما يمكن أن يقوم به التحليل الإحصائي للبيانات هو وصف الأشياء التي لا يمكن أن تشرح سبب قيام الأفراد بما يقومون به

تحظى إصدارات الحكومة لمختلف المؤشرات الاقتصادية مثل الناتج المحلي الإجمالي ومؤشر أسعار المستهلك والبطالة بتغطية واسعة في وسائل الإعلام. بصوت مسموع وموثوق، يناقش العديد من الاقتصاديين والخبراء الآخرين الذين تمت مقابلتهم وجهات نظرهم فيما يتعلق بصحة الاقتصاد. ويتم تفسير الارتفاع في مؤشر مثل الناتج المحلي الإجمالي على أنه خبر جيد بينما يُنظر إلى الانخفاض على أنه يشير إلى مشاكل في المستقبل.

فما هي الأدوات التي يستخدمها الاقتصاديون والخبراء الماليون في تقييماتهم للاقتصاد؟ ما هو أساس إطار تفكيرهم؟

لندع البيانات تتكلم

إنه لأجل جعل البيانات "تتحدث"، يستخدم الاقتصاديون مجموعة من الأساليب الإحصائية التي تختلف عن النماذج شديدة التعقيد إلى العرض البسيط للبيانات التاريخية. ومن المعتقد بشكل عام أنه من خلال الارتباطات الإحصائية، يمكن للمرء أن ينظم البيانات التاريخية في مجموعة مفيدة من المعلومات، التي بدورها يمكن أن تكون بمثابة أساس لتقييم حالة الاقتصاد. يقال أنه من خلال تطبيق الأساليب الإحصائية على البيانات التاريخية، يمكن للمرء أن يستخلص حقائق الواقع فيما يتعلق بحالة الاقتصاد.

لسوء الحظ، الأمور ليست واضحة كما تبدو؛

فعلى سبيل المثال:

- لوحظ أن الانخفاض في معدل البطالة يرتبط بارتفاع عام في أسعار السلع والخدمات؛ فهل يجب أن نستنتج بعد ذلك أن الانخفاضات في معدل البطالة هي السبب الرئيسي لتضخم الأسعار؟

[1] Frank Shostak, Economic Models vs. The Real World, MISES WIRE, link: https://mises.org/wire/economic-models-vs-real-world

ولمزيد من التعقيد :

– لوحظ أيضاً أن تضخم الأسعار مرتبط جداً بتغيرات عرض النقود .

يضاف إلى ذلك،

– فقد ثبت أن التغيرات في الأجور تظهر ارتباطاً عالياً جداً بتضخم الأسعار .

إذن نحن أمام ثلاث نظريات متنافسة للتضخم؛ فكيف يمكن أن نقرر ما هي النظرية الصحيحة؟

وفقاً لطريقة التفكير الشائعة، التي أشاعها ميلتون فريدمان، لا يمكننا معرفة حقائق الواقع، ووفقاً لطريقة التفكير هذه، يجب أن يكون معيار اختيار النظرية هو قوتها التنبؤية . وفقاً لفريدمان، فإن الهدف النهائي للعلم الإيجابي هو تطوير نظرية أو فرضية تسفر عن تنبؤات صحيحة ذات مغزى (أي ليست واقعية) حول الظواهر التي لم يتم ملاحظتها بعد[١] .

لكن هل كل شيء غير مؤكد؟

طالما أن النموذج (النظرية) "يعمل" ، فإنه يعتبر إطاراً صالحاً فيما يتعلق بتقييم الاقتصاد؛ وبمجرد تعطل النموذج (النظرية)، فإننا نبحث عن نموذج جديد (نظرية جديدة) .

على سبيل المثال؛ يشكل خبير اقتصادي وجهة نظر مفادها أن نفقات المستهلك على السلع والخدمات يتم تحديدها حسب الدخل المتاح، وبمجرد التحقق من صحة هذا الرأي عن طريق الأساليب الإحصائية، يتم استخدامه كأداة في تقييم الاتجاه المستقبلي لإنفاق المستهلك؛ فإذا فشل النموذج في إنتاج تنبؤات دقيقة، يتم تعديله بإضافة متغيرات توضيحية أخرى .

تعني الطبيعة المبدئية للنظريات أن معرفتنا بالعالم الحقيقي أمر بعيد المنال . ونظراً لأنه لا يمكن إنشاء "كيفية عمل الأشياء حقاً"؛ فلا يهم حقاً ما الافتراضات الأساسية للنموذج! وفي الواقع كل شيء يسير، طالما أن النموذج يمكن أن يسفر عن توقعات جيدة؛ وفقاً لميلتون فريدمان .

[١] Milton Friedman, Essays in Positive Economics, Chicago: University of Chicago Press, 1953.

السؤال ذو الصلة الذي يجب طرحه حول افتراضات النظرية ليس ما إذا كانت واقعية وصفية، لأنها ليست كذلك أبداً، ولكن ما إذا كانت تقريبية جيدة بما فيه الكفاية للغرض الموجود. يمكن الإجابة على هذا السؤال فقط من خلال معرفة ما إذا كانت النظرية تعمل، مما يعني ما إذا كانت تُسفر عن تنبؤات دقيقة بما فيه الكفاية[1]. مرة أخرى، في طريقة التفكير هذه، "كل شيء يسير على ما يرام"، المهم هو أن يكون لديك نموذج يولد تنبؤات دقيقة.

نوعان من الاقتصاديين

إن الرأي القائل بأن معرفتنا مبدئية وأنه لا يمكننا أبداً التيقن من أي شيء قد أدى إلى ظهور مجموعتين من الاقتصاديين. في المعسكر الواحد، يوجد ما يسمى النظريين، أو "اقتصاديي البرج العاجي"، الذين يولّدون نماذج وهمية متعددة ويستخدمونها لتشكيل رأي في عالم الاقتصاد. وكقاعدة عامة، من أجل أن تظهر وكأنها تحمل مصداقية، **فإن هذه النماذج ترتدي رياضيات معقدة**.

في المعسكر الآخر، لدينا ما يسمى الاقتصاديين "العمليين"، الذين يستمدون وجهات نظرهم من البيانات فقط. في حين يعتقد الاقتصاديون في البرج العاجي أن مفتاح سر الكون الاقتصادي هو من خلال نماذج مجردة، يرى الاقتصاديون "العمليون" أنه إذا قام أحد "بمعاركة" البيانات لفترة كافية؛ فسيعترف في النهاية وستكشف الحقيقة عن نفسها كنظرية اقتصادية، ومع ذلك، يجب أن يكون لها غرض واحد فقط – لشرح جوهر النشاط الاقتصادي.

ومع ذلك، فإن الأساليب الإحصائية لا تساعد في هذا الصدد، وكل ما يمكن أن تفعله الأساليب الإحصائية المختلفة هو مجرد مقارنة حركات المعلومات التاريخية المختلفة. لا يمكن لهذه الطرق تحديد القوى المحركة للنشاط الاقتصادي، وبالمثل؛ فإن النماذج التي تستند إلى خيال الاقتصاديين ليست ذات فائدة كبيرة لأن هذه النظريات غير مؤكدة من العالم الواقعي.

وعلى عكس التفكير السائد، فإن الاقتصاد لا يتعلق بالناتج المحلي الإجمالي أو مؤشر أسعار المستهلك أو غيرها من المؤشرات الاقتصادية على هذا النحو، وإنما يتعلق بالأنشطة البشرية التي تسعى إلى تعزيز حياة الناس ورفاههم. يمكن للمرء أن يلاحظ أن الناس يشاركون في مجموعة متنوعة من الأنشطة. إنهم يؤدون عملاً يدوياً

[1] Milton Friedman, ibid.

ويقودون السيارات ويمشون في الشارع ويتناولون الطعام في المطاعم. **إن السمة المميزة لهذه الأنشطة هي أنها كلها هادفة.**

وبالتالي، قد يكون العمل اليدوي وسيلة لبعض الناس لكسب المال، والتي بدورها تمكنهم من تحقيق أهداف مختلفة مثل شراء الطعام أو الملابس، ويمكن أن يكون تناول الطعام في المطعم وسيلة لإقامة علاقات تجارية، وقد تكون قيادة السيارة وسيلة للوصول إلى مكان معين. والناس يعملون في إطار الغايات والوسائل؛ إنهم يستخدمون وسائل مختلفة لتأمين الغايات.

ينطوي العمل الهادف على قيام الناس بتقييم وسائل مختلفة تحت تصرفهم مقابل غاياتهم؛ في أي وقت من الأوقات، لدى الناس وفرة من الغايات التي يرغبون في تحقيقها. مما يحد من تحقيق الغايات المختلفة هو ندرة الوسائل، وبالتالي؛ بمجرد توفر الوسائل، يمكن استيعاب عدد أكبر من الغايات أو الأهداف (أي ستزداد مستويات معيشة الناس).

المعرفة بأن العمل البشري هادف يساعد في جعل البيانات ذات معنى

إنه للقيام بتحديد البيانات، يجب على المرء أن يقتصر على قوته الدافعة النهائية، وهو عمل بشري هادف. على سبيل المثال، خلال الركود الاقتصادي، لوحظ انخفاض عام في الطلب على السلع والخدمات. هل نستنتج بعد ذلك أن انخفاض الطلب هو سبب الركود الاقتصادي؟

الحقيقة أن الإنسان يتبع أفعال هادفة تعني: أن الأسباب في عالم الاقتصاد تنبع من البشر وليس من العوامل الخارجية. على سبيل المثال، **على عكس التفكير السائد**، فإن الإنفاق على السلع لا ينتج عن الدخل الحقيقي؛ ففي سياق فريد من نوعه، يقرر كل فرد مقدار دخل معين سيتم استخدامه للاستهلاك ومقدار الاستثمار؛ فبينما يستجيب الناس للتغيرات في دخلهم؛ فإن الاستجابة ليست تلقائية. ويقوم كل فرد بتقييم الزيادة في الدخل مقابل مجموعة الأهداف المحددة التي يريد تحقيقها؛ فقد يقرر أنه من المفيد له زيادة استثماره في الأصول المالية بدلاً من زيادة الاستهلاك.

يلاحظ أن المعرفة التي يتبعها الأشخاص لاتخاذ إجراءات هادفة ليست مؤقتة، لأنها دائما صالحة، وأي شخص يحاول أن يشير إلى أن هذا ليس هو الحال؛ فهو الانخراط في تناقض؛ لأن أولئك الذين يزعمون أن العمل الإنساني ليس هادفاً يشاركون فعلاً في فعل هادف.

إن التحليل الإحصائي الخالص دون إثبات معنى نشاط اقتصادي معين؛ لا يمكن أن يخبرنا عن جوهر ما يجري في عالم البشر. كل ما يمكن أن يقوم به التحليل الإحصائي للبيانات هو وصف الأشياء التي لا يمكن أن تشرح سبب قيام الأفراد بما يقومون به.

إنه بدون معرفة أن الإجراءات البشرية هادفة، لا يمكن فهم البيانات التاريخية. على هذا كتب روثبارد:

> أحد الأمثلة التي أحب Mises استخدامها في فصله لإظهار الفرق بين طريقتين أساسيتين في التعامل مع السلوك البشري كان في النظر إلى السلوك خلال ساعة الذروة. وأشار إلى أن "السلوك" الموضوعي أو "العلمي الحقيقي" سيراقب الأحداث التجريبية؛ على سبيل المثال، الأشخاص الذين يندفعون ذهاباً وإياباً، بلا هدف في أوقات معينة من اليوم يمكن التنبؤ بها. وهذا هو كل ما يعرفه. لكن الطالب الحقيقي للعمل البشري سيبدأ من حقيقة أن كل سلوك بشري يكون مقصوداً، ويرى أن الغرض من ذلك هو الانتقال من المنزل إلى القطار للعمل في الصباح، والعكس في الليل، وما إلى ذلك. يمكن للمرء معرفة واكتشاف المزيد عن السلوك البشري، وبالتالي أي واحد سيكون "العالَم" الحقيقي[1].

وبناء عليه؛ هل القدرة التنبؤية معيار صالح لقبول النموذج؟

إن وجهة النظر الشائعة التي تحدد القدرة التنبؤية كمعيار لقبول نموذج؛ هو مشكلة، وعلى سبيل المثال، تنص النظرية المستخدمة في بناء صاروخ على شروط معينة يجب أن تسود لإطلاقه بنجاح. أحد الشروط هو الطقس الجيد. هل سنحكم بعد ذلك على جودة نظرية الدفع الصاروخي على أساس ما إذا كان بإمكانها التنبؤ بدقة بتاريخ إطلاق الصاروخ؟

إن التنبؤ بأن الإطلاق سيحدث في تاريخ معين في المستقبل لن يتحقق إلا إذا استمرت جميع الشروط المنصوص عليها. إذا كان هذا سيكون؛ فقد لا يمكن أن يكون معروفا مقدما. على سبيل المثال، في اليوم المخطط للإطلاق قد تمطر. كل ما يمكن أن تخبرنا به نظرية الدفع الصاروخي هو أنه إذا صمدت جميع الشروط اللازمة، فإن إطلاق الصاروخ سيكون ناجحاً. ومع ذلك، فإن جودة النظرية لا تشوبها عدم القدرة على عمل تنبؤ دقيق لتاريخ الإطلاق.

نفس المنطق ينطبق على الاقتصاد. يمكننا أن نقول بثقة أنه، مع تساوي جميع الأشياء الأخرى، فإن زيادة الطلب على الخبز سترفع سعره. هذا الاستنتاج صحيح وليس مؤقتاً. هل يرتفع سعر الخبز غداً أم في وقت ما في

[1] Murray N. Rothbard, preface in Theory and History by Ludwig von Mises.

المستقبل؟ لا يمكن إثبات ذلك من خلال نظرية العرض والطلب. هل ينبغي لنا بعد ذلك أن نعتبر هذه النظرية عديمة الفائدة لأنها لا تستطيع التنبؤ بسعر الخبز في المستقبل؟ وفقاً لـ Mises، يمكن للاقتصاد التنبؤ بالآثار المتوقعة من اللجوء إلى تدابير محددة للسياسات الاقتصادية. يمكن أن يجيب على السؤال عما إذا كانت السياسة المحددة قادرة على تحقيق الغايات المستهدفة، وإذا كانت الإجابة سلبية، فما هي آثارها الحقيقية. بالطبع، يمكن أن يكون هذا التنبؤ "نوعياً" فقط[١].

يتابع الناس بوعي أعمال هادفة توفر لنا معرفة محددة، والتي هي دائما صالحة فيما يتعلق بالبشر. هذه المعرفة تضع الأساس لإطار متماسك يسمح بإجراء تقييمات ذات مغزى لحالة الاقتصاد. في المقابل، من المرجح أن يكون التحليل الذي يعتمد فقط على الارتباطات الإحصائية مشكل، لأنه التحليل الإحصائي المحض يخبرنا قليلاً عن جوهر النشاط الاقتصادي.

افتراضات خيالية

وعليه، **يجب أن نرفض التعليقات التي تستند إلى نماذج نظرية "بحتة"، التي تستمد أساسها من خيال الاقتصاديين المنفصلين عن حقائق الواقع؛ فالنموذج الذي لا يستمد من الواقع، لا يمكن أن يفسر العالَم الحقيقي.**

على سبيل المثال، من أجل شرح الأزمة الاقتصادية في اليابان، استخدم الاقتصادي بول كروغمان نموذجاً يفترض أن الناس متطابقون ويعيشون إلى الأبد[٢]؛ بينما أقر كروغمان بأن هذه الافتراضات غير واقعية، ومع ذلك جادل بأن نموذجه يمكن أن يكون مفيداً بشكل ما في تقديم حلول للأزمة الاقتصادية في اليابان.

إذن؛ ولكي تكون النظرية الاقتصادية قابلة للتطبيق، يجب أن تنبثق عن جوهر دافع السلوك البشري. حيث العامل الرئيسي هو العمل الهادف، وستسمح المعارف التي يملكها الأشخاص؛ اتخاذ إجراءات هادفة للمحلل بفهم البيانات الاقتصادية.

[١] Ludwig von Mises, The Ultimate Foundation of Economic Science, p 67.
[٢] Paul Krugman, "Japan's Trap," May 1998 at nytimes.com.